أخبار
الوافدين من الرّجال
مِنْ أَهْلِ البَصْرَة وَالكوفَة
على معاوية بن أبي سُفيان

تأليف

العبّاس بن بكّار الضبّي

١٢٩هـ - ٢٢٢هـ

تحقيق

سكينة الشهابي

أخبار الوافدين من الرجال من أهل البصرة والكوفة

على معاوية بن أبي سفيان

تأليف

العباس بن بكار الضبي

١٢٩هـ - ٢٢٢هـ

تحقيق

سكينة الشهابي

بسم الله الرحمن الرحيم

الوافدون على معاويـة :

١ ــ فئة من أصحاب علي من أهل البصرة والكوفة ناصروه في حياته ، وخاضوا معه مستبسلين معركة صفين ؛ وحين قضى الله أمراً كان مفعولاً ، وتم النصر لمعاوية ، ثم آلت الخلافة إليه لم يدفعهم ذلك إلى كلمـة مجاملة واحدة يقولونها للغالب ؛ ولو كانت الكلمة في سبيل التقية والحذر . كانوا يصرخون في وجه معاوية يدوي صوتهم قوياً صلباً لا يخشون في قالة الحق لومة لائم . كان فيهم الكثير من صفات صاحبهم ؛ هذه الصفات التي اختاروه من أجلهـا خليفة ، واختارهم من أجلها جنوداً أقوياء يسعون لإعلاء راية العدالة ، ونشر كلمة المساواة ، لا فرق بين أبيض وأسود ، ولا كبير وصغير ، الكل سواسية كأسنان المشط ؛ وأفضلهم أفعلهم للخـير ، وأقربهم من الكمال الإنساني ، وأقولهم للصدق ، وأكثرهم نصراً للمظلوم ؛ وجرأةً في وجه الظالم .

كان بينهم وبين علي بن أبي طالب ــ رضي الله عنــه ــ ذلك التجاوب الوجداني ، واللقــاء الروحي الــذي يفسره قول الرسول ﷺ : « الأرواح جنود مجندة فما تعارف منهـا ائتلف ، وما تناكر منهـا اختلف[1] » ؛ وأي

(١) أخرجه البخاري في الأنبياء رقم ٣١٥٨ ، ومسلم في البر رقم ٣٦٣٨ ، وابو داود في الأدب رقم ٤٨٣٤ .

تعارف أفضل من وحدة الهدف ، والإيمان بالمصير المشترك ، وخشية الله تعالى، والتصديق بما وعد به على يد رُسُله .

٢ ـ اهتم المؤرخون العرب بأخبار الوافدين على معاوية كما اهتموا بأخبار الوافدات ، فتناقلوها ، وزادت في بعض المصادر عن الحد المعقول لمآرب خاصة كانت تعتمل في نفوس كثير منهم،وكانت في مصادر أخرى تحكي الواقع، وتفوح منها رائحة الصدق .

٣ ـ وكأني بالتاريخ كان يلتفت ذاهلاً إلى معركة صفين ، وإلى تلك النتيجة التي مني بها علي ومعه العدد الأكبر من الصحابة والتابعين ، وإلى ذلك النصر الذي حصل عليه معاوية ومعه أهل الشام .

ولكنه منطق السياسة الذي قلب ميزان الحقائق ؛ فقد لعب دهاء معاوية دوراً كبيراً في تغيير مجرى أحداث التاريخ العربي ، وتقدمت الحنكة السياسية في الميدان لترسي دعائم مجد بني أمية ما يقارب القرن من عمر الزمان ، وتجعلنا نؤمن بأن « الحرب خدعة[1] » ، وأن الشجاعة والجرأة ، والإقدام والبسالة ربما أخذت في بعض المعارك دوراً ثانوياً حين تتوافر في الجهة المعارضة قيادة منظمة ؛ ودهاء محنك يحسن تقدير مداخل الأمور ومخارجها .

من هذا المنطلق تبرز لنا صورة الوافدين على معاوية ؛ رجال آمنوا بربهم وبذلوا أرواحهم لتكون كلمة الله العليا ؛ لم تكن تأخذهم في الحق لومة لائم ، وكانت لهم مكانة كبيرة بين المسلمين ، فما منهم رجل إلا وهو سيد قومه ، وسيتضح لنا من التعريف بهم مبلغ ما كانوا يتمتعون به من نفوذ بين العرب ، بالإضافة إلى تلك الصفات الخيرة الكريمة التي أهلتهم لموضع السيادة والقيادة؛ كل واحد من هؤلاء كان يرى نفسه فوق معاوية بن أبي سفيان ، هذا الرجل

---

(١) أخرجه البخاري في الجهاد رقم ٢٨٦٦ ، ومسلم في الجهاد والسير . باب : جواز الخداع في الحرب رقم ١٧٢٩ .

الذي آلت إليه السلطة ، وتربع على عرش الخلافة ؛ وهـذا ما يجعل الحوار بينه وبينهم طريقاً ممتعاً تبدو فيه تقية الغالب وحذره خوفاً من الفتنة ، وجرأة المغلوب وعنفه في قول كلمة الحق .

٤ ــ ومن الملاحظ أن معاوية بن أبي سفيان كان لـه من أصحاب علي ــ رضي الله عنه ــ موقفان ؛ كان واسـع الصدر حليماً ؛ لا يبالي بالجواب المقذع ، والكلمة النسيئة حين يظن أن صاحبها ليس لديه من القوة غيرها ، أو حين يظن أنه يستطيع تهدئة نفس الخصم بلسانه ، وحسن رعايته . أما أولئك الذين غلت نفوسهم كالمراجل ، واشتعلت نار الثورة في حناياهم فسرعان ما كان يبطش بهم ، ولا يمهلهم .

ويفسر لنا هذا القول موقفه من حجر بن عدي وأصحابه ؛ كان حجر من أجلة الصحابة ، وكانت له تقدمة ومكانة كبيرة في نفوس المسلمين ، ولكن ذلك لم يمنع معاوية من البطش به متخذاً لذلك الحجة والعذر ؛ ولكن ، هات من يعذره ! وأين الحجة التي لم يستطع أن يقنع بها نفسه ؟! قدم معاوية لحجر بن عدي من الدنيا ما أراد على لسان زيـاد بن أبيه ، ولكن حجراً لم يقبـل من عروض زياد شيئاً ، كان يتحين الفرصة ليثور ، ويتمرد على السلطة ، وما أسرع ما احتال له زياد ، وأرسله إلى معاوية ليرى فيه رأيه . ولم يكن لدى معاوية سوى السيف !

٥ ــ روى لنا الحافظ ابن عساكر في ترجمة حجر أن معاوية استشار في قتل حجر بن عدي وأصحابه لفيفاً من وجهاء المسلمين وذوي الرأي فيهم، وكان المشيرون بالعفو كثر ؛ ورغم ذلك فإن معاوية بطش به .

٦ ــ ونجد في كامل المبرد (٦١/١) ما يلخص لنا موقف معاوية من خصومه :

« قال معاوية بن أبي سفيان للأحنف بن قيس ، وجارية بن قدامة ، ورجال

من بني سعد معهما كلاماً أحنظهم ، فردوا عليه جواباً متذعاً ، وابنة قرظة في بيت يقرب منه ، فسمعت ذلك ، فلما خرجوا قالت : يا أمير المؤمنين ، لقد سمعت من هؤلاء الأجلاف كلاماً تلقوك به فلم تنكر ، فكدت أخرج إليهم ، فأسطو بهم ! فقال لها معاوية : إن مضر كاهل العرب ، وتميماً كاهل مضر ، وسعداً كاهل تميم ، وهؤلاء كاهل سعد ! » .

« وكان معاوية يقول : إني لا أحمل السيف على من لا سيف معه ، وإن لم تكن إلا كلمة يشتفي بها متشفٍ جعلتها تحت قدمي ، ودَبْر أذني » .

ولعل بما حكاه لنا المبرد يلخص لنا قصة الوافدين على معاوية والوافدات معاً ، ويفسر سياسة معاوية معهم ؛ رأينا مع الوافدات اللين والحلم والتواضع والعطف ثم الأعطيات الكبيرة ، والإكرام ، ولا شيء بعد ذلك . أما الوافدون فما أكثر ما رافقت حلمه معهم زمجرة الغاضب وتهديده بالبطش والفتك . كان الأمان الذي أعطاه لبعضهم أماناً متدراً بأجل ، ووافق قوله فعله ؛ فكل من خرج من مجلسه بالأمان والتهديد كانت عاقبته القتل .

٧ ــ تختلف أسماء النسوة العاذلات لمعاوية على حلمه مع خصومه ، كانت اللائمة في كامل المبرد زوجة معاوية المنضلة فاختة بنت قرظة ؛ وكانت في تاريخ دمشق أخته جويرية؛وكانت في رواية الضبي[1] أخته أم الحكم ــ ولكن الدلالة تظل واحدة ؛ لم تكن لهؤلاء النسوة من الحنكة السياسية ما يستطعن به فهم ذلك السر الذي يكمن وراء اللين ، والموقف موقف قوة لا موقف ضعف .

كما تختلف أسماء الوافدين فيزيد الضبي في روايته رجالاً لم تذكرهم المصادر وفوداً على معاوية مثل : حجر بن عدي ، وعمرو بن الحمق ، ويزيد ابن عساكر في الوافدين رجالاً لم يذكر لهم الضبي أخباراً مع معاوية

(١) هو من نسب الكتاب إليه . تقدم التعريف به في كتاب « الوافدات » ص ١٠ .

مثل زيد بن جَبلة ، وسماك بن مخرمة ، وتظل خلاصة الأخبار برواية الضبي واحدة مهما تنوعت الروايات : يذكر معاوية معركة صفين ويعاتب الرجال الذين شاركوا فيها إلى جانب علي معرضاً بهم ، وهنا تثور ثائرتهم فيكيلون له الصاع صاعين فيطلب منهم أن يغادروا المجلس .

إن الروايات تختلف فيما قيل لمعاوية ، وما قاله معاوية ، وتزيد في أسماء الوافدين وتنقص ، وتغير وتبدل في أسماء اللائمات العاذلات من وراء استار ، ولكن الثابت في ذلك كله شخصية معاوية ، وحنكته السياسية ، هذه الحنكة التي لم تغرب عن ذهن أمه هند حين قال لها قائل : إن ابنك هذا سيسود قومه » ؛ فقالت : « إن لم يسد إلا قومه فأماته الله ! »[1] .

(١) انظر تاريخ مدينة دمشق ، (تراجم النساء ص ٤٤٦) .

الكتـاب ومؤلفـه :

أصل مخطوط واحـد خطته قلم ناسخ واحـد ضم كتيباً صغيراً باسم : « الوافدات من النسـاء من أهل البصرة والكوفة على معاوية » ، وكتيباً أصغر منه باسم : « الوافدون من الرجال من أهل البصرة والكوفة على معاوية » . والكتابات مما نسب إلى العباس بن بكار الضبي المتوفى سنة ٢٢٢ هـ[١] .

يتألف الكتاب الأخير من ثماني ورقات من القطع الصغير . وفي مقدمتي لكتاب الوافدات عرفت بالعباس بن بكار الضبي،وتحدثت عن الأصل المخطوط وبينت شكي في نسبة الكتاب[٢] .

ولعل مثل هذا الشك يراودني وأنا أقرأ كتاب الوافدين ، ولكن ليس لدي ما ينفي أن يكون الكتاب للعباس بن بكار ، وليس لدي ما يثبت بالدليل القاطع أنه له .

يأتي ترتيب كتاب الوافدين في الأصل المخطوط قبـل كتاب الوافدات ، ويبدأ بما يلي :

بسم الله الرحمن الرحيم : حدث الحسن بن الحسين بن عاصم ، قال :

فلم يرو الكتاب من طريق معين ، وعبارة التحديث عامة : « حدث » : فهي لا تشعر برجل معين يروي الكتاب . وعلى وجه الورقة الأولى :

---

(١) انظر بروكلمان ٣/٣٧ ـ ٣٨ .

(٢) الوافدات على معاوية ص ١٠ ، ١١ ، ١٤ .

« أخبار الوافدين من الرجال من أهل الكوفة والبصرة على معاوية بن أبي سفيان »[1] . وليس هناك ذكر لمؤلف الكتاب ، في الوقت الذي نجد فيه كتاب الوافدات بدأ بأكثر من طريق وصلت الراوي بأخبار الكتاب . ثم إن كل خبر من أخبار الكتاب يبدأ بـ : « قال الهيثم[2] ».وليس للهيثم كتاب في هذا الموضوع ، فهل جمعت أخبار الوافدين من كتابه التاريخ ، ومن الذي جمعها ؟ أهو من نسب إليه الكتاب : « العباس بن بكار الضبي » ؟ .

ولا يوجد ما يعارض ذلك من حيث الزمان ، ولا من حيث المكان الذي عاش فيه الرجلان : العباس بن بكار والهيثم بن عدي ، فهما كوفيان متعاصران، توفي العباس بن بكار سنة ٢٢٢ هـ ، وتوفي الهيثم سنة ٢٠٧ هـ . وما دام كل منهما محدث أخباري مؤرخ فما المانع أن يكون أحدهما روى عن الآخر ؟ بل إنه من المعقول جداً أن تكون رواية العباس بن بكار ، وهو الأصغر ، عن الهيثم بن عدي وهو الأكبر .

---

(١) انظر صورة وجه الورقة الأولى ص

(٢) هو الهيثم بن عدي بن عبد الرحمن الثعلي الطائي البحتري ، مؤرخ عالم بالأدب والنسب . أصله من منبج ، وإقامته وشهرته بالكوفة ، ووفاته بفم الصلح سنة ٢٠٧ هـ ، وقيل ٢٠٦ هـ . اختص بمجالسة المنصور والمهدي ، والهادي والرشيد. هجاه أبو نواس بقصيدة قال فيها :

إذا نسبت عدياً في بني ثعل   فقدم العين قبل الدال في النسب

وهو عند علماء الحديث من المدلسين . من تآليفه « بيوتات العرب » ، و« بيوتات قريش »، « نزول العرب خراسان والسواد »،و« نسب طيء»،و«خطط الكوفة»، و« ولاة الكوفة »، و « النساء »، و « طبقات الفقهاء والمحدثين » ، « تاريخ الأشراف » ، فلعل العباس بن بكار روى أخبار الوافدين من كتابه الأخير - انظر ترجمته في تاريخ بغداد ١٤/ ٥٠ ، والأعلام ٨/ ١٠٤ .

مزايا الكتاب وضرورة نشره :

لم أحرص على نشر هذا الكتاب ، وسرعة جعله في متناول القراء ليكون غذاء فكرياً نافعاً فقط ، فهناك بين يدي ما هو أكثر قيمة منه ، وأعظم أهمية . وقد ترددت كثيراً قبل أن أقدم على نشره حين شممت في جوانب من أخباره رائحة الوضع والتلفيق ، ثم استخرت الله في ذلك ، وعزمت على تحقيق الكتاب ، فضلت أن يتم ذلك على يدي قبل أن يتناوله غيري ممن قد لا يتنبه إلى بواطن الضعف فيه ، فتكون هذه النقاط ثغرة ومنفذاً للطعن على التاريخ العربي ، وصانعي هذا التاريخ ، ويكون سهوهم عن بعض الروايات الملفقة وسيلة لتقديم مادة دسمة لأعداء الأمة والذين يعملون على هدم أمجادها .

فبعض أخبار هذا الكتاب لا نعثر عليه في التاريخ العربي مطلقاً ، وربما تنافى مع حقائق هذا التاريخ[1] ، وبعضها الآخر نجد له طرفاً في رواية صحيحة[2] ، نقرؤه في تلك الرواية فنتقبله ، ولا ننكر منه شيئاً ، وحين نقرؤه في رواية الضبي نحس بوهن الأساس الذي بني عليه ، وندرك على الفور أن أن من لفق الرواية وتزيد فيها لايريد أن ينصر طرفاً على طرف ، ولا يريد أن يثبت حق علي ، ويكشف باطل معاوية ، ولكنه يسيء إلى شيعة علي وأنصار معاوية معاً ، إن هؤلاء الصحابة الذين وقفوا إلى جانب علي ، وآزروه ونصروه ما كانوا يلينون في مجابهة خصم ، أو يضعفون أمام متسلط[3] ، وكان معاوية يطأطىء رأسه أمامهم ، وحين يعرض بهم — ولو من طرف خفي — نجدهم يسلقونه

---

(١) مثال ذلك ما ورد في خبر حجي فالتاريخ لا يذكر له وفوداً على معاوية غير القدمة التي قتل فيها ، وقد قتل من غير أن يراه معاوية .

(٢) مثال على هذا خبر عمرو بن واثلة مع معاوية .

(٣) تقدم تفصيل هذا في ص ٥ ، ونجد له مصداقاً في أخبار الأحنف وجارية وشريك . وهو يبدو بوضوح أكثر في رواية الحافظ ابن عساكر لأخبار الوافدين .

بألسنة حداد . فلا يجد أمامه إلا المداراة واللين حرصاً على وحـدة الكلمة وخوفاً من الفتنة ، وحين تخونه الحكمة ويلجأ إلى الفتك والبطش ما كان يلقى من خصومه وهناً ولا ضعفاً ، برهان على ذلك حجر بن عدي الذي أفقد معاوية حلمه المعروف ولم يكن أمامه بـد من قتله تقدم إلى الموت غير هيـاب ولا وجل ، وطلب أن يصلي ركعتين فصلاهما ثم قال لأهله : « لا تطلقوا عني حديداً ، ولا تغسلوا عني دماً فإني ملاق معاوية على الجادة »[1] .

ولكن رواية الضبي لأخبار الوافدين لم تحسن رسم شخصياتهم دائماً ، كذلك جانبها الصواب في رسم شخصية معاوية ؛ حتى الأسلوب الذي نطق به معاوية والوافدون عليه لم يتفق دائماً مع ما عرفوا به من فصاحة وبلاغة ، فهو مسجوع متكلف أين منه بلاغة الصحابة ، وما تناقلته الروايات الصحيحة من أقوالهم المأثورة ، وعباراتهم القوية الجزلة ؟

رواية ابن عساكر للأخبار[2] :

من أجل ما تقدم ذيلت كتاب الوافدين برواية الضبي بما يسر الله لي جمعه من أخبارهم في تاريخ دمشق ، أردت من ذلك شيئين :

أولا : أن أبين للقاريء الكريم سعة تاريخ دمشق وشموله .

ثانياً : أن أجعـله يحس بالفرق الكبير بين روايـة الحافظ ابن عساكر للأخبار ، وبين رواية غيره من المؤرخين . ولا شك أن نفوس القراء الكرام

---

(١) سير أعلام النبلاء ٣/٤٦٦ .

(٢) روى الحافظ ابن عساكر بعض أخبـار الوافدات من طريق العباس بن بـكار الضبي ، وبعضها الآخر رواه من طريق محمد بن مروان السعيدي وغيره ، وقد بينت أن السبب في إعراضه عن رواية الضبي هو حرصه على انتقاء الروايات القريبة من الواقع البعيدة عن المبالغة ـ تراجع مقدمة كتاب الوافدات ـ ولعل السبب ذاته جعله لا يروي خبراً واحداً من أخبار الوافدين عن الضبي .

ستكون أكثر رضى واطمئناناً وهي تصغي إلى رواية الحافظ ابن عساكر لهذه الأخبار ؛ إنها ستشعر برنة الصدق بعد أن أحست بالقلق وعدم الإطمئنان في بعض جوانب روايات الضبي ؛ فقد استطاع الحافظ الكبير أن يضع بين أيدينا صورةً أقرب ما تكون إلى الصدق ، وأبعد ما تكون عن تقلبات الأهواء لذلك الصراع السياسي الذي عاشته الأمة العربية في القرن الهجري الأول .

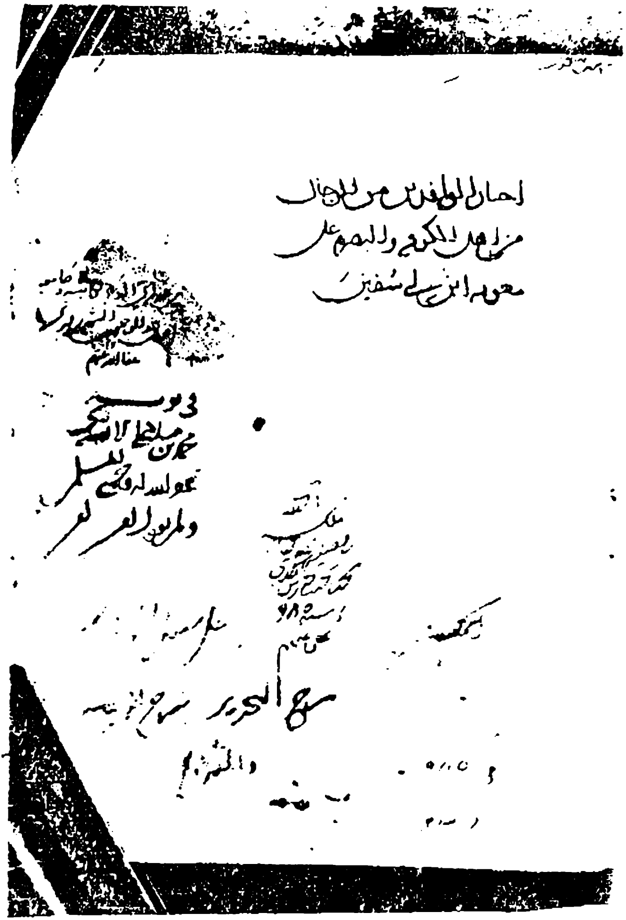
إن قارىء أخبار الوافدين على معاوية في تاريخ دمشق لا يحس أن هناك افتئاتاً على الواقع ، أو تزايداً فيه ، وهذا سيساعد الباحثين والمؤرخين في ترجمة أحداث عصر صدر الإسلام وفلسفتها بشكل أكثر صدقاً وعمقاً .

وبعد ؛ فبقدر ما كان الكتاب صغيراً كان العمل فيه شاقاً وعسيراً . كان اعتمادي في التحقيق على أصل واحد ، ولم يكن بالأصل الجيد ، فهناك كثير من التصحيف والتحريف والسقط فيه ، وقسم من الأخبار التي رواها الضبي — كما قدمت — ليس في المصادر التي بين أيدينا مما يجعلنا بحاجة إلى تقويم ما ورد فيها من تصحيف وتحريف وليس لدينا ما نستأنس به من النصوص والأخبار المشابهة .

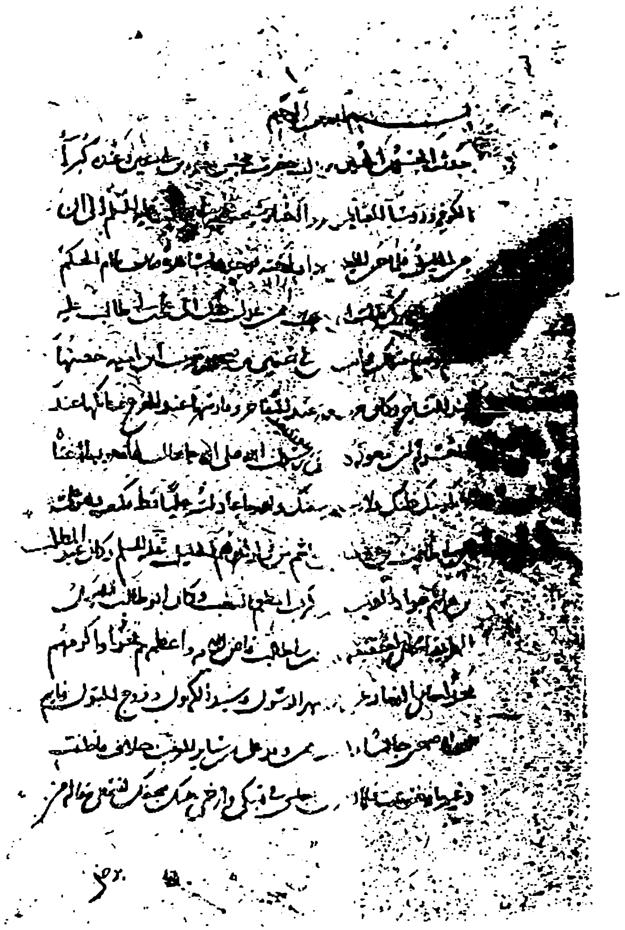
وفي هذا المجال لا يسعني إلا أن أشكر جزيل الشكر أستاذي العلامة الدكتور عبد الكريم اليافي الذي كان له الفضل في تقويم المعوج وإصلاح الخطأ ، فله مني كل إجلال وتقدير .

الثلاثاء ١٩٨٣/٩/٢٧

سكينة الشهابي



صورة وجه الورقة الأولى من اخبار الوافدين


بسم الله الرحمن الرحيم

بداية أخبار الراوين وهو ظهر الورقة الأولى

الوافدون على معاوية من أهل البصرة والكوفة منسوقة أسماؤهم على حروف المعجم

أ ـ رواية العباس بن بكار الضبي

ب ـ رواية الحافظ ابن عساكر

[ل ٢]

بسم الله الرحمن الرحيم

حدث الحسن بن الحسين بن عاصم ، قال :

حضرت مجلس معاوية بن أبي سفيان وعنده كبراء الكوفة ، ورؤساء القبائل ، وقد أجروا أخبار شيعة علي بن أبي طالب ــ عليه السلام ــ إلى أن جن الليل ؛ فلما جن الليل مضى إلى دار أخته فوجدها ساهرةً ، فقال : يا أم الحكم(١) ، ما الذي أسهرك ؟

قالت : أسهرني العجب ممن عدل عنك إلى علي بن أبي طالب ــ عليه السلام ــ وجعله مثلك ؛ وأنت معاوية بن أبي سفيان صخر(٢) بن حرب بن أمية ، حصنها عند التشاجر ، وكان حرب عمادها عند التفاخر ، وفارسها عند الفزع ، وفاتكها عند العسر . وإن معاوية كاتب وحي الله ، ورديف رسول الله ﷺ !

---

(١) إن صحت الرواية فهي : أم الحكم بنت أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية ، أخت أم حبيبة لأبيها ، واخت معاوية لأبيه وأمه . أمها هند بنت عتبة بن ربيعة ابن عبد شمس ، أدركت النبي ﷺ ، وكانت ممن أسلم يوم الفتح ، وبايعت رسول الله ﷺ ، وحكت عن أخيها (انظر تاريخ دمشق المجلدة الأخيرة ــ تراجم النساء ص ٤٩٧) . وقد روى الحافظ ابن عساكر في ترجمة (جويرية بنت أبي سفيان) ــ انظر تاريخ دمشق نسخة المتحف ل ٨٧ ــ شبيها بالخبر التالي ، ذكر فيه أربعة من الوافدين هم على التوالي : الأحنف بن قيس ــ زيد بن جبلة ــ جارية بن قدامة ــ سماك بن مخرمة . وواضح أن اثنين من هؤلاء الوافدين سيلي خبرهما في هذا الكتيب . وقد ذكر المبرد في الكامل (١/٦١) خبر الوافدين مختصراً ، والمرأة فيه فاختة بنت قرظة زوج معاوية .

(٢) في الأصل : « ابن صخر » .

فقال لها معاوية : يا أختاه ، لا يكذِبنَّك ظنك ؛ ولا يبعد عنك ذهنك . والله ما عادلتُ علياً قط ! فكيف ؟ وهو علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم ، من ولد إبراهيم الخليل ــ عليه السلام ــ وكان عبد المطلب بن هاشم جواد العرب ، وفارس الكُرب ، المطعم بالسَّغب[1] . وكان أبو طالب السهل الطريقة ، الحامي الحقيقة . وكان علي بن أبي طالب قاضي الأمة ، وأعظمهم فخراً ، وأكرمهم مجداً . حامي الذِّمار ، عزيز الجار ، صهر الرسول ، وسيد الكهول ، وزوج البتول . فايم الله ، لأصبحنَّ جالساً ، ولأُسمعنكِ ممن وفد عليَّ من سائر العرب خلاف ما ظننتِ ، وغير ما وصفتِ .

فلما أصبح قال : اجلسي في قبتك . وارخي عليك سجفك لتسمعي مقالة من يدخل عليَّ من وجوه بني أمية ، ورؤساء أهل الكوفة ، وأخبارهم .

فلما مثَلوا ، واستقرت بهم مجالسهم قال معاوية للحاجب : أدخل علي حُجر بن عدي الكندي الكوفي[2] . فأذن له . فدخل ، وسلم . فقال له معاوية :

يا بن الأسن ، القبيح المنظر ، القاطع بنا الأسباب ، المسمى بالأحزاب ، والملتمس بحربنا الثواب ، والمساعد علينا أبا تراب .

---

(١) السغب : جوع مع تعب . يقال : به سغب ومسغبة ، وسغابة .

(٢) حُجر بن عدي بن جبلة الكندي ، ويقال له : حجر الخير . وفد على النبي ــ ﷺ ــ وشهد القادسية ، وصفين إلى جانب علي . وافتتح مرج عذراء . أظهر المناوأة لبني أمية ، فأرسله زياد بن أبيه مكبلا إلى معاوية بن أبي سفيان فقتله وأصحابه عند عذراء سنة ٥١ هـ . وروي أن معاوية لما حج بعد مقتل عدي استأذن على عائشة فأبت أن تأذن له ، ثم احتال لذلك فدخل ، فقالت : أقتلت حجراً !؟ قال : « وجدت في قتله صلاح الناس وخفت من فسادهم » . له ترجمة مطولة في تاريخ دمشق (خ ظاهرية م ٤ ق ١٣١) فيها تفصيل خبر مقتله . وانظر تاريخ الطبري . وكامل ابن الأثير حوادث سنة ٥١ هـ ، وسير أعلام النبلاء ٣/٤٦٢ ، ومروج الذهب ٣/١٢ ، ومعجم البلدان : « عذراء » .

فقال : يا معاوية ، لا تذكر رجلاً كان بالدين برورا ، راعي الأمة ، وخليفة النبوة ، المحامي عن الإسلام أولاً وآخراً ، خائفاً لله ، وبما يرضيه عارفاً ، [عاملاً[1]] بدين الله ، طويل الركوع ، طاهر الخشوع ، قليل الهجوع ، قائماً بالحدود ، متوجهاً للمعبود ، طاهر السريرة ، محمود السيرة ، نافذ البصيرة . ملك أمرنا فكان كبعضنا ، لم يبطل حقاً ، ولم يظلم خلقاً ، ولم يخف إلا من الله ــ عز وجل ــ ثم بكى حتى كاد يتلف ، ثم رفع رأسه وقال :

أما توبيخك إياي ، وما كان مني ، فاعلم ــ أيها الإنسان ــ أني غير معتذر مما جنيت ، ولا مكترث مما به أُتيت ، فأعلن سرك ، وأظهر أمرك !

فقال معاوية : يا غلام ، أخرجه عني ، فقد بلغ مني . ولولا ما سبق مني لما فاته طعم السيف . ولعل ذلك يكون بعد هذا[2] .

ثم قال للحاجب : أدخل علي علي عمرو بن الحمق الخزاعي[3] .

---

(١) زيادة لتقويم العبارة .

(٢) لم يذكر ابن عساكر ــ ولا غيره من المؤرخين ــ لحجر بن عدي قدمة إلى دمشق سوى تلك التي قتل فيها ، مما يجعلنا نشك في صحة هذه الرواية ، ويؤيد شكنا هذا الأسلوب الذي انطق به الراوي حجراً ، والذي لا يتفق وما ذكرته عنه المصادر .

(٣) عمرو بن الحمق بن كاهل الخزاعي ، صحابي . كان أحد الرؤوس الذين اشتركوا في قتل عثمان ، وشهد مع علي حروبه ، وكان على خزاعة يوم صفين . ولما قتل علي بن أبي طالب بعث معاوية في طلب شيعته ، وكان ممن طلب ، فراغ منه ، فأرسل إلى امرأته آمنة بنت الشريد فحبسها . ثم إن أصحاب معاوية ظفروا بعمرو بن الحمق فقتلوه سنة ٥١ هـ ــ في أصح الروايات ــ وبعثوا برأسه إلى معاوية ، فكان أول رأس حمل في الاسلام . راجع : الوافدات على معاوية ٥٢، وتاريخ مدينة دمشق « تراجم النساء ٤٣ »، و« م١٣ ق٢١٦» والإصابة ٥٣٢/٢ (٥٨١٨) ، والطبري ٢٥٨/٥ ومن الملاحظ أن خبر وفوده على معاوية يتنافى مع حقائق التاريخ العربي التي تزعم أنه ظل مطاردا إلى أن قتل .

فلما دخل قال : السلام عليكم يا معشر الكهول والشباب من الرجال والصبيان . فقال له معاوية : يا أخا خزاعة ، لم لا تخاطب بأمير المؤمنين والمسلمين ؟

قال : سمعت / رسول الله ﷺ يقول : « بدأ الإسلام غريباً ، وسيعود كما بدأ [1] » ، وهذا اليوم الذي وعد به رسول الله ﷺ .

فقال له معاوية : إذاً لا تؤاخذك ، لأنك أشهرت سيفك ، وأهويت لنا حتفك ، وأطلت الإعراض ، وأجررت رسنك مع كلالٍ بغرور [2] جشّمك المحذور . وكيف رأيت صنع الله بنا وبه ؟ ألم تضق برحيله ، وعارضة أجله ؟

فبكى عمرو بن الحمق حتى وقع على وجهه ، ثم أفاق ، وقال : بأبي وأمي من ذكرت ، وتنقصت ، كان والله العالم بكتاب الله ، العامل بحكم الله ، المحمود عند الله ، المستمسك بسنة رسول الله ﷺ الزاهد في الفانية ، الراغب في الباقية ، لم يضر تكبراً ، ولم يظهر منه تجبر ، يعمل بما يرضي الله عنه ، ويقرب من رحمة الله ، فصلاة الله عليه ، وتحياته ، وبركاته . ولقد ضر بنا فقده ، وتمنينا الموت بعده . وأما أنا يا معاوية في خاصة نفسي فقد لعمري دانيت منك أوغاد السامري ، وأولاد الطلقاء من بني أمية ، وما ذاك إلا لأمر مفعول ، وتقديرات منه ، ليحيط بكم غضبه ، وهذه أحوال ألهكم ، الله فعالها [3] ، ليدخلكم ناره سرمداً . وددت أني قتلت بين يديه ، وبمرافقة [4] الأبرار الذين

---

(١) أخرجه مسلم برقم ١٤٥ في الإيمان ، باب بيان أن الإسلام بدأ غريباً ، والترمذي برقم ٢٦٣١ في الإيمان ، باب ١٣ .
(٢) يقال : قد أجررته رسنه : إذا تركته يصنع ما يشاء .
(٣) في الأصل : « ليحيط بكم قصمته ، وهذه احوال الهكم الله فعالها » ، لعل الأشبه ما اثبته .
(٤) في الأصل : « ومرافقة » .

استشهدوا كعمار ومن شاكله . ولقد استرحت اليوم من ملاقاة الأشرار في هذا اليوم الظامىء المظلم .

فقال له معاوية : لولا علمي بما تصير إليه لعجلت ذلك ، وما تلبَّثت ! ثم قال : أخرجه ـ فأخرجه ـ وأدخل علي عدي بن حاتم الطائي(١).

فلما دخل وسلم قال معاوية : ما أبقـى لك الدهر من حب علي بن أبي طالب عليه السلام ؟ قال : كحب أم موسى إذ ألقته في اليم وعدوه فرعون . ثم قال : حبي والله له شديد ، لا يقل(٢) بل يزيد . ولولا حبه لما كنت أرجو الجنة ، ولا أنالها إلا بحبه ؛ وشر أبي يزيد . أما كان رسول الله ، ﷺ أقامه علماً يوم حجة الوداع ، ونادى عليه يوم غدير خُم(٣) : « ألا من كنت مولاه فعلي مولاه ، اللهم وال من والاه ، وأخذل من خذله ، وانصر من نصره »(٤) .

---

(١) عدي بن حاتم الطائي الأمير الشريف ، والصحابي الجليل ، ابن حاتم طيء الذي يضرب المثل بجوده . وفد على النبي ﷺ فأكرمه ، وقام في حرب الردة بأعمال كبيرة . شهد الجمل وصفين مع علي ، وفقئت عينه يوم الجمل . وقيل : يوم صفين . خرج من الكوفة مع نفر من الصحابة زمن الفتنة ، وقال : « لا نقيم ببلد يشتم فيه عثمان » . توفي سنة ٦٨ هـ ، وقيل قبلها ، وقيل بعدها . مصادر ترجمته كثيرة جداً أهمها : تاريخ دمشق (متفرقات ٢١٨ / ٢٨ ـ ٤١) ، وتهذيب الكمال ل ٩٢٥ ، وسير أعلام النبلاء ٣/١٦٢ . وخبر عدي بن حاتم مع معاوية في : « كتاب الفتوح » ٣/١٣٤ ، والعقد الفريد ٤/١١٠ برواية أخرى ، وتبدو في خبر وفوده على معاوية بهذه الرواية رائحة الوضع ، فعلى الرغم من تقصي الحافظ ابن عساكر لم يذكر هذا الخبر ، أو ما يشبهه ، وروى في وفوده على معاوية ما يدل على أن معاوية ما كان يتجرأ أن يهيجه لما يعلم من حضور بديهيته ، وجرأته في الجواب (انظر التاريخ) .

(٢) فوقها في الأصل : « يبيد » رواية .

(٣) خم : موضع بين مكة والمدينة بالجحفه به غدير ، عنده خطب رسول الله ﷺ .

(٤) الحديث بقريب من هذه الرواية في : مسند أحمد ١/١١٩ ، وكنز العمال (رقم ٣٢٩٤٦ ، ٣٢٩٥١) . وقول النبي ، ﷺ ، : « من كنت مولاه فعلي مولاه » أخرجه الترمذي في المناقب رقم ٣٧١٤ ، وابن ماجه في المقدمة ١١ ، وأحمد ١/٨٤ ، ١١٨ ، ١٥٢ ، ٣٣١ ، و ٤/٢٨١ ، ٣٦٨ ، ٣٧٠ ، ٣٧٢ ، و ٥/٣٤٧ ، ٣٦٦ ، ٤١٩ ، وهو حديث صحيح .

أما سمعت في ذلك اليوم نداءه عليه ، وهو آخذ بعضده ، وهو على الأقتاب[١]؟ لقد سمعت كما سمعنا ، وشهدت كما شهدنا ؛ فالحجة عليك وعلى غيرك ، وعلى كل من شهد ذلك اليوم ، وسمع كلام محمد ﷺ . فما نزل من الأقتاب إلا وقد تفرقت قلوبنا شعباً .

فقال : قد كان ذلك . وكيف رضاك عن ولدك زيد[٢] ؟

فقال : كيف أسخط عليه وقد أقر عيني[٣] بقتل فارس الجيش ؟

فقال عمرو بن العاص : الأمر فوق ذلك ، يا أمير المؤمنين ، أصبح والله عدي بعد صفين ذليلاً . فبكى عدي ، وأنشأ وجعل يقول[٤] :

يجادلني معاوية بن حرب ... وليس إلى الذي أرجو[٥] سبيلُ
يكاشرني[٦] ويعلم أن طرقي ... على ما في الضمير له[٧] دليلُ
يذكرني أبا حسن ، علياً ... وخطبي في أبي حسنٍ جليل[٨]
ويزعم أننا قوم سِفاه[٩] ... حراديون ليس لنا عقول

---

(١) مفرده : قَتَب ، وقِتَب ، وهو إكاف البعير ، وقيل: رحل صغير على قدر السنام .
(٢) قتل زيد بن عدي يوم صفين .
(٣) في الأصل : « قر » . وقد قرت عيني وأقرها الله .
(٤) لا شك أن من نسب هذا الموقف إلى عدي بن زيد يجهل ما عرف به هذا الصحابي الجليل .
(٥) في كتاب الفتوح : « يرجو » .
(٦) كاشره : إذا ضحك في وجهه وباسطه .
(٧) في الفتوح : على تلك التي أخفي » ، وترتيب هذا البيت الثالث فيه .
(٨) ترتيب هذا البيت الثاني في كتاب الفتوح .
(٩) في الأصل : « شتا » ، ولعله تصحيف صوابه ما أثبتناه . وفي كتاب الفتوح : « جفاة » .

وكان جوابه عندي عتيداً[1] ويكفي مثله عندي[2] القليل
[ل ٤] / وقال ابن الوليد[3] ، وقال عمرو، عدي بعد صفين ذليل
فقلت : صدقتم قد ذل ركني وفارقني الذين[4] بهم أصول
سيخسر من يؤازره ابن هند ويربح من يؤازره الرسول
على أني على ما كان مني أقضي حاجتي في ما أقول[5]

قال الهيثم : وأدخل من بعده عمرو بن واثلة الكناني[6] .

فلما دخل وسلم رحب به معاوية . فقال القوم : هذا الذي رحبت به يا أمير المؤمنين هو خليل علي بن أبي طالب ــ عليه السلام ــ وفارس العراق ، وشاعرهم ، ولقد أنضج أكبادنا ، وأحرق جلودنا بنَبْلِه ، وفضحنا بطعناته وضرباته.علام رحبت به وقربته منك؟! فهل نسيت ما جرى علينا يوم صفين ؟ ولقد كدر علينا الحيرة ، وأفحش أعراضنا بلسانه . وصار الجماعة ينالون منه ومن عرضه .

فغضب عمرو بن واثلة، وقال : يا معاوية ، ما سبني[7] هؤلاء، وإنهم لأقل

---

(1) في الأصل : « عتيـد » .
(2) في كتاب الفتوح : « مني » .
(3) فتوح : « الوحيد » .
(4) في كتاب الفتوح : « ... صدقتما قد هد ... الذي »
(5) في كتاب الفتوح : « ولكني .... ابليل صاحبي بما أقول » .
وزاد فيه : وإن أخاكم في كل يوم من الأيام محمله ثقيل
(6) في الأصل : « عمر بن واثلة » ، وسيتكرر ، ولم أجد من قال بها . فهو : « عامر » في أصح الروايات ، ونقل ابن عساكر عن البخاري والحاكم قولهما : وقيل : « عمرو » ، وكان ما في الأصل تصحيف لهذه الرواية . كان عامر بن واثلة الكناني ، أبو الطفيل صاحب رسول الله ﷺ ، وآخر أصحابه موتاً . كان من شيعة علي ، وشهد معه صفين ، له ترجمة مطولة في تاريخ دمشق (انظر عاصم ــ عايذ / ٥٧ ٤ ــ ٤٨١) ، ومصادر ترجمته فيه .
(7) في الأصل : « سبوني » .

من ذلك وما سبني غيرك ، فإن لـم تجزني من سبني ،وإلا حـق علي سبك وشتمك !

فقال معاوية : هـذا عمرو بن العاص ، ومروان بن الحكم ، وسعيد بن العاص[1] .

فقال عمرو بن واثلة : أما عمرو بن العاص فأنطقته خيانة أمه[2] ، وما أتت به من الزنـا ، وأما مروان بن الحكم ، وسعيد بن العاص فأنطقتهما خيانـة الحجاز ، وأما ابن أبيه فإنه أنطقته خيانة تهامة ، وأما ابن أخيك فوهبته لك !

فقال له معاوية : يا بن واثلة، ما أبقى لك الدهر من حب علي بن أبي طالب عليه السلام ؟

قال : كحب الناقد لأخيهـا وزوجها ، وولدها . وإلى الله تعالى أشكو التقصير .

فقال : ما أبقى لك الدهر من الوجد عليه ؟

قال : كوجد العجوز المِقْلات[3]

فقال : ما بلغ من بغضك لنا ؟

قال بغض آدم لإبليس ــ لعنه الله ــ ثم بكى وهو يقول :

أيشتمني عمـرو ومروان ضِلـّةً[4]   بحكم ابن هند ، والشقيّ سعيد[5]

---

(١) يبدو أن بعض قول معاوية سقط من الأصل ، يدل على ذلك جواب عمرو بن واثلة التالي .

(٢) أم عمرو بن العاص سبية من عنزة اسمها النابغة كان يعير بها . راجع نسب قريش ٤٠٩ ،وجمهرة أنسـاب العرب ١٦٣ ، والوافدات من النسـاء علـى معاوية ٤٨ .

(٣) العجوز المقلات : التي لا يعيش لها ولد .

(٤) ضِلةً : أي في ضلال .

(٥) يعني سعيد بن العاص .

وحول ابن هندٍ سامرون[1] كأنهم إذا ما استقاموا للحديث قرود
يعضون من غيظ[2] علـيٍّ أكفهـم ودرؤك مــن لا يستجيب شـديد
وما سبني إلا ابــن هنـدٍ وإننــي لتلك التي يسخو بهــا لنكود
كما بلغت أيــام صفين نفســه تراقيهــا ، والشامتون شهــود
فلــم يمنعوه والرماح تنوشــه وما قــل حرب للسنان عقود
وطارت بعمروٍ في العجاج ، وسبطه ومروان من وقــع السيوف بعيــد
وما لسعيدٍ غير همــة نفسه وعل التي نسخو بهــا فنعود
تخطفهم في الحرب خطفاً كأنه وقــد ثــار نقــع للقتــال صفود

فقال معاوية[3]: كأنك ممن خذل أمير المؤمنين عثمان يوم الدار،والشاهر علينا سيفك يوم صفين ! فقال عمرو بن واثلة : أما قولك في قتل عثمان،وتركي نصرته ؛لأنا / رأيناك ، وأنت ابن عمه ، ونازل بإزائه ؛ وقد استغاث بك فتركت إجابته ، وأنت ابن عمه ؛ فهان علينا ذلك ، وتربصت بنفسك عنه فزعاً[4] من المنون • ولو أنك أظهرت في ذلك اليوم ما قد أعلنته اليوم لما كنت تقعد هذه القعدة ، ولقد كنت أول طريحٍ لمحمد بن أبــي بكر • ورأيت من خذله من المهاجرين والأنصار فوسعني ما وسعهم • [ل ٥]

فقال معاوية : أليس طلبتي بدمه نصرةً[5] له ؟

---

(١) في الأصل : « سامرين » •
(٢) في الأصل : « غيض » •
(٣) ما يلي هو المعروف من خبر عمرو بن واثلة ومعاوية ، انظر تخريجه في ص٥٥ •
(٤) في الأصل : « فزع » •
(٥) في الأصل : « ليس طلبتي بدمه حقره » ، والصواب من تاريخ دمشق ٤٦٠ •

فقال له عمرو بن واثلة بعذره في ذلك : ولكن يصيبك كقول عبيد حيث يقول[1] .

فإن قتلتُ فــلا تطلب بثائرتي ‏ ‏ ‏ ‏ وإن مرضتُ فلا ألزمك عوادي

فقال القوم : اقتله يا أمير المؤمنين فقد أجلى نفسه .

فقال : كلا قد جعلت له الأمان . أخرجه أيها الحاجب !

قال الهيثم بن عدي : وأدخل من بعده هانىء بن عروة[2] .

فلما دخل قال له معاوية : أنت المائل علينا مع علي بن أبي طالب ، العدو المحارب ، الخارج علينا في جماعة المسلمين يوم صفين .

فقال هانىء بن عروة : أما خروجي عليك يا بن هندٍ فإنني غير معتذرٍ منك ؛ ولو كنت مبارزي يوم صفين لقد كنت أيتم منك هذا المجلس ، وكذلك هؤلاء الجلوس لو أنهم بارزوا لأعولت عليهم نساؤهم في جملة المعولات ، وإنما تربصت بنفسك عن [أن][3] تلحق الكرام . فوالله ما أحببناك منذ عرفناك ـ ويروى : منذ أبغضناك ـ ولا قلبنا السيوف التي فيها جالدناك ؛ وإنها لحداد

---

(١) موضع هذا البيت في تاريخ دمشق وتاريخ الخلفاء للسيوطي :

لا ألفينك بعــد المــوت تندبني ‏ ‏ ‏ ‏ وفي حياتــي مــا زودتنــي زادي

وهو من قصيدة لعبيــد بن الأبرص - انظر شعراء النصرانية ٥٩٧ ، والأغاني ٤١٨/٢٣ ، ٤١٩ وليس البيت المذكور بهذه الرواية في قصيدة عبيد .

(٢) هانىء بن عروة بن الفضفاض الغطيفي المرادي احد سادات الكوفة وأشرافها . كان اول أمره من خواص علي بن أبي طالب ، ثم صلحت حاله إلى أن ظهر منه ما يريب فقتل مع مسلم بن عقيل بن ابي طالب رسول الحسين إلى أهــل الكوفة . انظر مقاتل الطالبين ٩٧، وكامل ابن الأثير ١٠/٤، والإصابة ٦١٦/٣. ورغبة الأمل ٨٦/٢ ، ووقعة صفين ١٥٣ .

(٣) زيادة يقتضيها المعنى .

بأيـــدي أناس شــداد ، وإن نصر الله لينزل علينا ، وإنــا لنعرف أيادي الله ــ عز وجل ــ علينا .

فقال له معاوية : أتأكــل المستحسن لرعايتك ، والمضمر لكفايتك ؟ فما حاجتك ؟

قال: أن تتركني كفاف لا تعطيني ، ولا تطمع في وصالي ، وأن تأيس في مودتي ، وإنني من الله [في][1] كافيات نعمتي . وأنا أشكر الله على نعمته ، وعلى ما أولاني من أهل وولد ، ومالٍ وكثرة عشيرة .

فقال : أنا أفعل ذلك إن شــاء الله تعالى . ثم قال للحاجب : أخرجــه . فأخرجه . وتقدم إلى الوافدين من أهل البصرة أن يدخل واحد بعد واحد .

قال الهيثم بن عدي : دخل من بعد أهل الكوفة صعصعــة بن صوحــان العبدي[2] ، وكان من جملة البصريين الوافدين . فلما دخل عليه ورأى الرجال عليهم السلاح قال : لا إله إلا الله سبحان الله ، والله أكبر .

فالتفت معاوية يميناً وشمالاً فلم ير ما يكرهه . فقال : يا بن صوحان ، ما أظنك تعرف الله تعالى !

---

(١) زيادة يقتضيها المعنى .

(٢) صعصعة بن صوحان العبدي أحد خطباء العرب ، ومن كبار أصحاب علي ، وخبر وفوده على معاوية وخطبته بين يديه مشهور متواتر بغير هذه الرواية . له ترجمة في طبقات ابن سعد ٢٢١/٦ ، وطبقات خليفة ت ١٠٢٥ ، والتاريخ الكبير ٣١٩/٤ ، والمعارف ٤٠٢ ، والجرح والتعديل ٤٤٦/٤ ، ومروج الذهب ٢٢٨/٣ ، وتهذيب الكمال ٦٠٧ ، وتاريخ الاسلام ٢٩٣/٢ ، وسير أعلام النبلاء ٥٢٨/٣ ، وتهذيب التهذيب ٤٢٢/٤ ، وأسد الغابة ٢١/٣ ، وأوفى أخباره ما رواه الحافظ ابن عساكر في تاريخ دمشق ١٥٣/٨ (نسخة الظاهرية) ، وستلي خطبته بين يدي معاوية من طريقه في ص ٥١ .

قال : بلى ، إنه ربي ورب آبائي الأولين ، يحيي ويميت ، وهو بالمرصاد ، كبير متعال ، ومن وراء العباد .

فقال معاوية : كنت أحب أن أراك في هذا المقام حتى يصيبك ظفر من أظفاري أهدى به نفسي مما تجده منك ، ومن مرارات أدخلتها بكلامك ، وصدق قتالك يوم صفين ، على قلبي ، ولقد كنت أتوقع عذرك يصلني مع الترغيبات التي رغبتك عل أني أقاسمك شطر قلبي . فما فعلت .

[٦ - فقال له صعصعة : وكذلك / كنت أنا أقول أن لا تقعد هذه القعدة ولا ولا تستعير هذه العارية[١] . ولقد فرحت لك لأنه مقام يورثك النار في لظى الخلود السرمد . وقد كنت أحب أن لا أحييك بهذه التحية حتى تفي مقادير الله تعالى فيك . وأما قولك : لو عذّرت لقاسمتك شطر دولتك ، فإن رسول الله ﷺ لوفائي له ، وحفظي وصيته ، وتلزمي بسنته ، فيكون أمري في دولته ومملكته كأمره ، وما عند الله خير وأبقى للأبرار .

فالتفت معاوية إلى عمرو بن العاص ، وقال له : أوسع لخالك حتى يجلس إلى جنبك . فقال عمرو : لا أوسع له ، إنه ترابي[٢] .

فقال صعصعة : أجل والله ، من التراب خلقت ، وإليه أعود ، [ومنه][٣] أبعث ، وإنك يا بن العاص ناري ، من النار خلقت ، وإليها تعود .

فضحك معاوية حتى استلقى على صفحته ، ثم عاد فقعد ، وقال : يا بن

---

(١) يعني الخلافة . ومن قول معاوية له بعد أن خطب بين يديه : « إن كنت لأبغض أن أراك خطيبا ، قال وأنا إن كنت لأبغض أن أراك خليفة » .

(٢) أراد عمرو بن العاص نسبته إلى أبي تراب علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه ، وحولها صعصعة إلى التواضع والفقر . رجل ترب : فقير كأنه لاصق بالتراب من الحاجة . وقول معاوية وعمرو وصعصعة في العقد الفريد ١٢٧/٥ .

(٣) زيادة لتقويم المعنى .

صوحان ، إنما أنت تهزل بلسانك ، وتفرح سلطانك ، وما تنظر في الأمور والأيام ، ونوادر الكلام ، والله لقد هممت أن أحملك خطب العراق !

فقال : والله ، لو رمت ذلك لغزوتك في مائة ألف أمردٍ على مائة ألف أجرد .

فامتلأ معاوية غيظاً : وأطرق طويلاً ، ورفع رأسه وقال : لقد أكرم الله قريشاً إذ يقول لنبيه محمد ﷺ : « وإنه لذكرٌ لك ولقومك »[1] ، فسوف يعلمون . فقال له صعصعة : وما قال الله : «وكذب به قومك ، وهو الحق»[2]؛ أما القول الأول فلرسول الله ، ونتومه من قرابته وذريته ، وأما القول الثاني فلك ولقومك ومن شاكلهم .

فقال له معاوية : قاتلك الله لقد غلبتني ، اسكت لا أمّ لك ، فما أعجل جوابك ، وأصعب خطابك ، [ما] أظنك منتهياً حتى أفرق بين روحك وجسدك!

قال له صعصعة : ليس ذلك إليك ، إنما ذلك بيد من لا يؤخر نفساً إذا جاء أجلها .

فقال له معاوية : لقد فقهكم علي بن أبي طالب ــ عليه السلام ــ ما تركتم حجة ، فلن تطاقوا ؛ ولولا أنني لم أجرع بجرعةٍ أفضل من جرعة غيظٍ[3] لم أمكنك من الحياة[4] !

---

(١) سورة الزخرف ٤٣ آية ٤٤ .

(٢) سورة الأنعام ٦ آية ٦٦ .

(٣) في الأصل : « غيض » . جرع الغيظ : كظمه . ويقال : « ما من جرعةٍ أحمد عقباناً من جرعة غيظٍ تكظمها » . يريد معاوية أن حلمه وحرصه على كظم الغيظ منعه من قتله » .

(٤) من حديث بين صعصعة بن صوحان ومعاوية بن أبي سفيان في العقد ١١٧/٧ « قال صعصعة لمعاوية : يا أمير المؤمنين كيف ننسبك إلى العقل وقد غلب عليك نصف إنسان ؟ ــ يريد غلبة امرأته فاختة بنت قرظة عليه ــ فقال معاوية : انهن يغلبن الكرام ، ويغلبهن اللئام .

ثم أن معاوية قال[1] :

عفوتُ عن جهلهم حِلْماً وتَكَرُّمةٍ   والحِلم عن قُدرةٍ فَضْلٌ من الكرمِ

فقال لحاجبه : أخرجه . وأدخل من بعده الأحنف بن قيس[2] .

فلما دخل الأحنف بن قيس على معاوية قال له معاوية : أنت المطلع علينا بالغدر ، والناظر في عطفيه شزراً[3] . أنت الـذي مرضت نفسك بالغرور ، وقدمت على مفظعات الأمور ، مع إعانتك علي بن أبي طالب ، وجلادك إياي ، إجلابك علي الخيل والرَّجِل يوم صفين ، وتحملك على أهل الشام بقوائـم السيوف ، وطول الرماح ؟

---

(١) البيت ، مما تمثل به معاوية ، في مروج الذهب ٢/٥٠ . ونسبه لأبي طالب ، وروايته :

قابلت جهلهـم حلمـاً ومغفـرةً   والعفو عن قدرة ضرب من الكرم

(٢) الأحنف بن قيس بن معاوية بن حصين ، الأمير الكبير ، والعالم النبيل ، أبو بحر التميمي ، أحد من يضرب بحلمه وسؤدده المثل . اسمه ضحاك ، وبه ترجمه ابن عساكر ، وقيل صخر ، وشهر بالأحنف لحنف رجليه ، وهو العوج والميل . وكان سيد تميم . أسلم في حياة النبي ﷺ ، ووفد على عمر ، وهو الذي افتتح مرو الروذ ، وكان من قواد علي يوم صفين ، ولما استقام الأمر لمعاوية عاتبه ، فأغلظ له الأحنف في الجواب ، فسألت معاوية أخت له تسمع قول الأحنف من وراء حجاب : من هذا الذي يتهدد ويتوعد ؟ قال : هذا الذي إذا غضب غضب لغضبه مائة ألف من بني تميم لا يدرون فيم غضب . توفي سنة ٦٧ هـ ، وقيل بعدها . وأخباره وخطبه وأقوالـه كثيرة مشهورة . أوفى مصـادر ترجمته : تاريخ دمشق لابن عساكر م ٨ ق ٢١٠ ب « ونقـل الحافظ خبر وفوده علـى معاوية من طريقين » ، وسير أعلام النبلاء ٤/٨٤ ، « وفي هامشه سرد المصادر ترجمتـه » . وخبر وفـوده علـى معاوية رواه ابن عساكر أيضاً في التاريخ (نسخة المتحف ٨٩ ترجمة : جويرية بنت أبي سفيان) ، وهو في العقد الفريد ٢/١١٨ ، ووفيات الأعيان ١/٢٣٠ ، ونهاية الأرب ٧/٢٣٧ .

(٣) في تاريخ دمشق : « أأنت المطلع غدراً ، الناظر في عطفيه شزراً » ، وواضح أن العبارة في هذه الرواية مدسوسة على معاوية ، لأنـه ما كان يجرؤ أن يخاطب الأحنف بهذه اللهجة ،والصحيح قول معاوية في روايـة : « والله يا أحنف ، ما أذكر يوم صفين إلا كانت حزازة في قلبي إلى يوم القيامة » .

فقال الأحنف : مه يا معاوية ، فإن لي مثل ما أعرف ، ومالا أعرف ، فإن شئت ذكرتك ما تعرف ، وأوضحت لك مالا تعرف . وأما قولك : أعنت أمير المؤمنين ، وأجلبت يوم صفين الخيول والرجال ؛ فأنتم والله معاشر قريش قتلتم أميركم وجررتم أفلاذه[١] ؛ والدار منا نازحة عنه . وقطعتم رحمه ، وسفكتم دمه . ثم إنكم ألزمتمونا دمه فوالله إن[٢]/ القلوب التي أبغضناك بها لبين جوارحنا[٣] ؛ وإن السيوف التي جالدناك بها لفي أعناقنا حمائلها ، وبأيدينا قوائمها . وايم والله ، ما تدنو بباع من الغدر إلا دنونا منه بباعٍ من الخَتْر ، وإن شئت لتصفين قلوبنا بحلمك[٤] . [ل ٧]

فقال معاوية : إني لفاعل ذلك . ثم قال للحاجب : أخرجه . فأخرجه .

قال الهيثم : وأدخل من بعده خالد بن معمر السدوسي[٥] .

فلما دخل قال له معاوية : يا خالد، لقد رأيناك تضرب أهل الشام بسيفك، وأنت على فرسك الأشقر العالي . فقال له خالد : والله ما أصبحت على ما كان

---

(١) في تاريخ دمشق « ترجمة جويرية » : (نحرتم ودجه) . والأفلاذ مفردها فلذ: القطعة من المال والذهب والفضة . ولعل الصواب : وحرزتم أفلاذه .

(٢) في الأصل : « لإن » .

(٣) في المصادر : « جوانحنا » ، وهي الأشبه . الجوانح هي أضلاع الصدر ، وجوارح الإنسان أعضاؤه وعوامل جسده كيديه ورجليه واحدتها جارحة لأنهن يجرحن الخير والشر أي يكسبنه .

(٤) في الأصل : « حملك » . وعبارة المصادر : ولئن شئت لتستصفين كدر قلوبنا بصفو حلمك » ، والختر : أقبح أنواع الغدر .

(٥) خالد بن المعمَّر بن سليمان السدوسي الذهلي، أدرك عصر النبوة ، وشهد صفين والجمل مع علي ، ثم غـدر بالحسن بن علي ولحق بمعاوية فولاه ارمينيـة فقصدها فمات في طريقه إليها ، له ترجمة في تاريخ دمشق ٣/٣٤٣ ، والإصابة ١/٤٦١ (٢٣٢١) ، وانظر الإكمال ٧/٢٧٠ ووقعة صفين ٢٢٣ ، ٢٢٦ ، ٢٣١ ، وتاريخ الطبري ٥/٢٣ ـ ٣٥ .

مني نادماً ، ولا على ما فعلته مصارماً. وإني أعيذ نفسي ، وأنا على ذلك مقيم، والله المستعان على قوة الظالمين .

فقال معاوية : ما علمت يا خالد ما نذرت أن أفعل في قومك ؟ قال : لا .
قال : إني نذرت أقتل مقاتلهم ، وأسبي ذراريهم ، وأفرق بين الأمهات وأولادها ثم ثنى عزمي بيع الخَلْب[1] .

قال له خالد : علمت[2] ما عملت في ذلك ؟ قال معاوية : لا . قال خالد : فاسمع ما أقول :

يروم ابـن حرب نَـذْرَه في نسائنا ودون الذي ينوي سيوف قواضب[3]
وسـمر يحلـون العواتـق تبتغـي سوى بعلهـا بعـلاً فتبكي العرائب
فإن كنت لا تعطي على الحنث فاعترف بحـرب تحامتهـا اللحـى والترائب

فقال معاوية : إنا نعطيك على الحنث .

قال خالد : فقد أغمدنا سيوفنا ، وأصفيناك مودتنا .

ثم قال لحاجبه : أخرجه ، فأخرجه .

---

(١) في الأصل : الحلب . وبيع الخلب : معناه المخادعة . أي منعني خداعهم . وقد ورد في اللسان : قول أبي صخر :
فلا ما مضى يثني ، ولا الشيب يشترى فأصفق عنـد الشوب بيـع المغالب

(٢) في الأصل : « عملت » .

(٣) البيت في وقعة صفين ٣٣١ ، وروايته : « تمنى ابن حرب ندرة .. » .
وبعده : وننـزع ملكاً أنت حاولت خلعـه بني هاشم قول امرىء غير كاذب

قال الهيثم بن عدي وأدخل من بعده جارية[1] بن قدامة .

فدخل ، وسلم . فقال له معاوية : ما عسيت أن تبلغ ؟ هل أنت إلا نحلة ضعيفة البدن ضيقة البهاء ؟

فقال جارية : والله لقد شبعتني بشهوة النطاف والحامية اللسعة[2] ، وأنت بمنزلة الكير تحرق وتحيف ، ولا تطيب ، وما أنت بطيب .

فقال معاوية : أنت الشاهر علينا سيف صفين في بني سعد بن زيد مناة تمنيهم الفتن ، وتحملهم على مقدمات الأجر ، مع قتلك أمير المؤمنين عثمان ، وخذلانك أم المؤمنين عائشة ؟ .

فقال جارية : قد كان ذلك ، وما أنا بمعتذر منه . وأما اسمي فخير من اسمك .

قال معاوية : وكيف ذلك ؟ قال : لأن الجارية[3] لا يكون إلا من قريش، أو من أقيال العرب ، ومعاوية لا يكون إلا من آثار الضبع . وأما ما ذكرت من

---

(١) في الأصل : « حارثة » ، تصحيف . ذكر ابن عساكر ترجمته في حرف الجيم ، وكذلك ضبطه الأمير في الإكمال ٢/١ ، ونقل هذا الضبط عنه الحافظ ابن عساكر في التاريخ . فهو : جارية بن قدامة بن مالك بن زهير بن حصين بن رزاح التميمي السعدي ، عم الأحنف ، له صحبة ، وهو من أصحاب علي شهد صفين معه ، وخبر وفوده على معاوية رواه الحافظ ابن عساكر في ترجمته (انظر تاريخ دمشق نسخة أحمد الثالث) ، وفي ترجمة « جويرية بنت أبي سفيان » انظر تاريخ دمشق نسخة المتحف ق ٩٠) بلفظ آخر . والخبر أيضاً في العقد الفريد ٤/١٠٩ .

(٢) من معاني الشهوة في اللغة : المشتهي ، وإذا كانت الرواية صحيحة فمعناها أنك زينتني بالنحلة التي يشتهى عسلها ، وهي أيضاً حامية اللسعة ، يريد أن فيها النفع ، وفيها الضرر .

(٣) عني بالجارية هنا : النعمة الدائمة المستمرة . جاء في الحديث : « إذا مات ابن أدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية ...» ، أي دارة متصلة .

أمر أمير المؤمنين عثمان فأنت وبنو عمرو بن أمية خذلتموه ، وقتلتموه ، ودارنا نازحة عنه . وأما قولك في أم المؤمنين عائشة ، فإنا نظرنا في كتاب الله فلم نجد لها حقاً فيما ادعت تلزمنا الطاعة لها؛لأن قعودها في بيتها،وطاعتها لربها كان أجدر بها ، فلما ألقت جلابيب رسول الله ﷺ عن وجهها بطل بذلك ما كان لها علينا من حق . وأما ما ذكرت من حال يوم صفين ، وإنما ذلك حيث أردت أن تقطع أعناقنا ، ولم تنظر في عاقبة ، ولم تخف جائحة ، فقدمنا عليك بالخيل مع خير الناس وأورعهم ، وأفضلهم علماً ، وأعظمهم حلماً ، وما أتيناك إلا وقد تحققنا انخلاعك عن / الإسلام ، فقدمنا على جلادك على البصيرة ، وأنت تطلب جلادنا [ل ٨] على الغرور والعمى ، فما شئت فافعل . وإن أردت يوماً مثل ذلك ، فخيلنا معدة ورماحنا محدة .

فاغتاظ منه ، وقال للحاجب : أخرجه من بين يدي . فأخرجه .

قال الهيثم بن عدي : وأدخل من بعده شريك الأعور[1] ، وسلم عليه بالإمارة . وكان شريك قصيراً : فقال له معاوية : ما أنت ويحك !؟

قال : أنا من لا تنكره ، ولا تجهله ، أنا شريك الحارثي .

فقال له معاوية : إنك لشريك ، والله ما له شريك[2] ، وإنك لأعور والصحيح خير من الأعور ، فكيف[3] سدت قومك ؟

فقال شريك : يا معاوية ، إنك لمعاوية ، وما معاوية إلا كلبة عوت واستعوت ، وإنك لابن صخر ، والسهل خير من الصخر ، وإنك ابن حرب ،

---

(١) روى ابن عساكر خبر شريك الأعور مع معاوية في تاريخ دمشق من طريقين . انظر (متفرقات رقم ٢٣٤ ورقة ٢٩ ـ ٣٠) ، وهو : شريك بن الأعور ـ واسم الأعور : الحارث ـ الحارثي . شاعر من أهل البصرة . وفد على عمر ابن الخطاب وكان من أصحاب علي شهد معه الجمل وصفين . توفي بالكوفة قبل مقتل الحسين ابن علي بيسير .

(٢) في تاريخ دمشق : « ما لله من شريك » .

(٣) في تاريخ دمشق : « وإنك لدميم والجميل خير من الدميم ، فبم » .

والسلم خير من الحرب ، وإنك ابن أمية ، وما أميــة إلا أمة صغرت ، فكيف صرت أمير المؤمنين ؟ ! واعلم بأني خلفت خلفي أذرعاً شداداً ، ورجالاً أنجاداً ، وأنا سيدهم ، أقيم بها عوجك ، ويقرى بها ضيفك ، ويعز بها الذليل ، ويذل بها العزيز .

فأمر بإخراجه ، فأخرج وهو يقول :

أيشتمني معاويــة بن حــرب[1] وسيفي صــارم ، ومعــي لساني
وحولي من بني[2] عمــي ليوث ضراغمة تهش إلــى الطعان
يعيرني الدمامة مــن سفــاه وربات الخدور هــي الغواني[3]
فلا تبسط لسانك يا بــن حرب علينا قــد بلغت[4] مدى الأماني
فإن تك للشقاء لنــا أميراً فإنــا لا نقــر علــى الهوان
فإن تــك في أميــة في ذراهــا فإني في بنــي[5] عبــد المدان
ولــو أنــي بليــت بهاشمي خؤولته بنــو[6] عبد المدان[7]
لهان علي مــا ألقى ولكن تعالي وانظري بمــن ابتلاني

---

(١) في تاريخ دمشق : « صخر » .

(٢) في تاريخ دمشق : « من ذوي يمن » .

(٣) في تاريخ دمشق : « وربات الجمال من .. » ، وبعده :

ذوات الدل في حبرات عصب يحبــون الهجان من الحسان

وفي الرواية الأخرى : ذوات الحسن والرئبال شثن شتيم وجهه ماضي الجنان

(٤) في تاريخ دمشق : « إذ بلغت » .

(٥) وفي الرواية الأخرى : « فإن تك من أمية ... فإني من بني » ؛ وفي روآيتــه الأخرى : « .. في ذرى » .

(٦) في الأصل : « بني » .

(٧) ليس هذا البيت والذي يليه في روايتي التاريخ ، وذكر في الرواية الثانية زيادة البيتين التاليين :

متى ما تدع قومك ادع قومي وتختلف الأسنــة بالطعــان
يجئنــي كــل غطريف شجاع كــريم قــد توشــح باليماني

قال : ونهض ودخل على أخته أم الحكم فقال لها : كيف رأيت يا أختاه ؟

قالت : ما رأيت أحداً هو أذل منك ، ولقد هممت أن أخرج إليهم لأجل ما استخفوا بك ، وأوعدوك من المواعيد . فقال لها معاوية : لا تتحدثينْ . ما نلت هذا الأمر إلا بالحلم والرفق . وإنما هؤلاء نفر من شيعة علي بن أبي طالب !

- ثم أمر بأن يخلع عليهم ، وأجازهم الجوائز السنية ، وردهم مكرمين إلى الكوفة والبصرة .

وهذا ما انتهى إلينا من حديث الوافدين من أهل الكوفة والبصرة على معاويـة . والحمد لله رب العالمين ، وصلاته على سيدنا محمد وآله وسلم تسليماً .

الوافدون على معاوية من طريق الحافظ ابن عساكر(١)

أخبرنا أبو بكر محمد بن محمد بن علي، أبنا محمد بن علي بن محمد، نا أحمد ابن عبد الله بن الخضر، نا أحمد بن أبي طالب، حدثني أبي علي بن محمد، حدثني محمد بن مروان القرشي، أخبرني أبو عمرو عثمان بن سعيد بن عمرو القرشي، [حدثني أبي](٢)، قال:

دخلت جويرية بنت أبي سفيان على أخيها معاوية تشكو إليه الأرق فقال: ولم ذاك يا خية؟ قالت: أم والله إنه لمن غير ألم؛ وما هو إلا تفكر فيك، وفي علي بن أبي طالب، وتفضيل الناس علياً عليك؛ وأنت ابن صخر ابن حرب بن أمية [وكان أمية من قريش لنابها(٣) الذي تقضي عنده نوائبها، وأنت ابن صخر بن حرب بن أمية(٤)] القائل الفاعل، ابن ماء المزن الحلاحل(٥)، وأنت بعد ذلك كاتب رسول الله ﷺ، وذو أصيرة من أمية، ونجيبه(٦) من عترته!.

فقال معاوية: فعلى عليٍ تعولين بالشرف(٧)، وهو [ابن](٨) عبد

---

(١) روى ابن عساكر هذا الخبر في ترجمة جويرية بنت أبي سفيان. (انظر نسخة المتحف ل ٨٩) وسيلي هذا الخبر أخبار أخرى رواها الحافظ في التاريخ في تراجم الوافدين. والخبر أيضاً في مختصر ابن منظور في ترجمة «جويرية بنت أبي سفيان».

(٢) سقطت من أصل التاريخ واضيفت لتقويم السند قياساً على ما أورده الحافظ في ترجمة أخرى.

(٣) ناب القوم: سيدهم.

(٤) زيادة من مختصر ابن منظور.

(٥) رجل حلاحل: سيد شريف.

(٦) هذه رواية المختصر. واللفظة في أصل التاريخ من غير إعجام.

(٧) هذه رواية المختصر. وفي الأصل: «بالسرف».

المطلب المطعم[1] في الكرب ، الفراج للكرب ؛ مع ما كان له من الفضل والسوابق مع رسول الله ﷺ . أما إني[2] سأريك التي حاولت وحاولت ، حتى تعلمي فضل رأيي وحلمي »، فادخلي القبة ، وأرخي عليك السجف . ثم قال لآذنه : انظر من بالباب . فإذا هو بأربعةٍ من بني تميم : الأحنف بن قيس ، وزيد بن جَبَلة ، وجارية بن قدامة ، وسِماك بن مخرمة .

فقال : ائذن للأحنف بن قيس[3] . فدخل وقضى سلامه ؛ فقال إيهاً يا حنيف بني قيس !

[فقال : مهلاً يا أمير المؤمنين ! بل الأحنف بن قيس][4] .

قال : أأنت المطلع غدراً ، الناظر في عطفيه شزراً ؟ تحمل قومك على مدلهمات الفتن ، وتذكرهم قديمات الإحن ، مع قتلك أمير المؤمنين عثمان ، وخذلانك أم المؤمنين عائشة ؛ وورودك عليّ بالخيل يوم صفين !؟

فقال : والله يا أمير المؤمنين ، إن منه ما أعرف ، ومنه ما أنكر ؛ فأما قولك : « قتلي أمير المؤمنين » ؛ فأنتم — معشر قريش — نحرتم ودجه[5] ، وسقيتم الأرض دمه . وأما قولك : « خذلاني أم المؤمنين عائشة » ، فإني نظرت في كتاب الله فلم أر لها عليّ حقاً إلا أن تقر في بيتها ، وتستتر بسترها ، فلما برزت عطلت ما كان لها علي من حق . وأما قولك : « وورودي عليك بالخيل يوم صفين حتى أردت أن تقطع أعناقهم عطشاً ، وتقتلهم غرثاً[6] »، وايم الله لو أحد الأعجبين غلب كانوا أنكى شوكة ، وأشد كلباً .

---

(١) هذه رواية المختصر . وفي الأصل : « المعظم » .
(٢) في الأصل : « أنا » .
(٣) تقدم التعريف به في ص ٣٢ . وخبر الأحنف بن قيس مع معاوية رواه الحافظ ابن عساكر في ترجمته (م ٨ ق ٢١٠) .
(٤) زيادة من مختصر ابن منظور .
(٥) الودج : عرق في العنق .
(٦) الغرث : شدة الجوع .

قال : اخرج عني !

ثم قال : ائذن لزيد بن جَلَبة(١) .

فدخل ، وقضى سلامه .

فقال له : إيها يا زيد بن جليبة ! .

قال : مهلاً يا أمير المؤمنين - بل زيد بن جَلَبة : يا أمير المؤمنين [إننا فررنا قريشاً كلها فوجدناك آمنها](٢) عهداً ، وأوفاها عقداً . فإن تف فأهل الوفاء أنت ، وإن تغدر فإنا خلفنا [خيلاً جياداً ، وأذرعة شداداً ، وأسنة حداداً] : وإن شئت لتصفين(٣) روعة صدورنا بفضل رأيك وحلمك .

قال : إذاً تفعل ، [قال : إذاً تقبل](٢) .

قال : اخرج عني !

ثم قال : ائذن لجارية بن قدامة(٤) .

---

(١) في الأصل : « يزيد بن حلبة » ، تصحيف ، فهو : زيد بن جليبة بن مرداس السعدي ، أحد العظماء الأشراف الوافدين على معاوية . وكان الأحنف يقول : « طالما خرقنا النعال إلى زيد بن جلبة نتعلم المروءة » ، ترجمه ابن عساكر في التاريخ (متفرقات ق ٢٢ ب) وروى خبره مع معاوية من طريق السعيدي .

(٢) زيادة من مختصر بن منظور .

(٣) في الأصل : « لتسقين » ، والصواب ما ورد في ترجمته في تاريخ دمشق : « لتصفين » . يريد أنه يستطيع بحكمته وحلمه أن يهدىء النفوس ، ويعيد إليها سابق المودة . وشبيه به من قول الأحنف لمعاوية في نهاية الأرب ٧/٢٣٧ : « لئن شئت لتستصفين كدر قلوبنا بصفو حلمك » ، وكذلك تقدم برواية الضبي من قول الأحنف .

(٤) تقدم التعريف به ، وخبر جارية مع معاوية رواه ابن عساكر في التاريخ في ترجمة جارية « نسخة أحمد الثالث » .

فدخل وقضى سلامه .

فقال له : إيهاً يا جويرية بني قدامة !

قال : مهلاً يا أمير المؤمنين ، بل جارية بن قدامة ، يا أمير المؤمنين ، إنا كنا نصار حرب الفجار ، حين حزتم الغبار ، وهمت قريش بالفرار !

فقال له : مه ، الأرض لك[١] ، أنت الـذي قريت أهـل الشام ظبات [السيوف ، وأطراف][٢] الرماح !

قال : إي والله يا أمير المؤمنين ، إني لأنا[٣] هو ، ولو كنت بالمكان الذي كان فيه أهل الشام لقريتك بمثل ما قريتهم به .

قال : فحاجتك يا أبا قـندس[٤] .

قال : أما إنها إليك غير طويلة [تقر الناس في بيوتهم فلا][٢] توفدهم إليك إنما يوفد إليك الأغنياء ، وتذرون الفقراء !

قال : ائذن لسماك بن مخرمة[٥] ، فدخل ، وقضى سلامه .

فقال : إيها يا سميك بني مخرمة . قال : مهلاً يا أمير المؤمنين، بل سماك ابن مخرمة ! والله يا أمير المؤمنين ما أحببناك مذ أبغضناك ، ولا أبغضنا عليـاً مذ أحببناه ، وإن السيوف التي ضربناك بها لعلى عواتقنا ، وإن القلوب التي

---

(١) في مختصر ابن منظور :«لا أرض لك»،وفي ترجمته في التاريخ :«لا رضى لك» .

(٢) زيادة من مختصر ابن منظور .

(٣) في ترجمته في التاريخ : « إني أنا » .

(٤) في الأصل : « قيدس » ، وفي مختصر ابن منظور : « قيدش » ، ولعل الصواب ما أثبته . جاء في التاج : قندس الرجل إذا تعمد معصية .وقندس إذا تاب بعد معصية ، وقندس كقنفذ من الأعلام .

(٥) هو سماك بن مخرمة الأسدي الهالكي . كان من وجوه أهل العراق . يقال لـه صحبة . ترجمه الحافظ في التاريخ (انظر نسخة أحمد الثالث) ، وذكر خبره مع معاوية في ترجمته من طريق السعيدي .

قاتلناك بها لبين جوانحنا . ولئن قدمت إلينا شبراً من غدر لنقدمن إليك باعاً من ختر[1] .

قال : اخرج عني ! .

ثم قال لأخته : الذي عاينت من قبله واحدة ، فماذا رأيت ؟

قالت : والله يا أمير المؤمنين لقد ضاق بي مجلسي حتى أردت أن أكلمهم لما كلموك به .

قال : إذاً والله كانوا إليك أسرع ، وعليك أجرأ . هم العرب لا تغروها !

(١) الختر : اقبح الغدر .

خالد بن المعمر السدوسي

ذكر[1] أبو محمد الحسن بن محمد الابجي الكاتب ، أنا أبو بكر محمد ابن الحسن بن دريد ، أنا أبو حاتم ، عن أبي عبيدة قال :

لما قتل علي بن أبي طالب أراد معاوية الناس على بيعة يزيد ، فتثاقلت ربيعة ، ولحقت بعبد القيس بالبحرين ، فاجتمعت بكر بن وائل إلى خالد بن المعمر ، فلما تثاقلت ربيعة تثاقلت العرب أيضاً ، فضاق معاوية بذلك ذرعا : فبعث إلى خالد ، فقدم عليه ، فلما دخل إليه رحب به ، وقال : كيف ما نحن فيــه ؟

قال : أرى ملكاً طريفاً ، وبغضاً تليداً ..

فقال معاوية : قل ما بدا لك ، فقد عفونا عنك ، ولكن ما بال ربيعة أول الناس في حربنا ، وآخرهم في سلمنا ؟ قال له خالد : إنما أتيتك مستأمناً ، ولم آتك مخاصماً ، ولست للقوم بجزي في حجتهم ، وإن ربيعة إن تدخل في طاعتك تنفعك ، وإن تدخل كرها تكن قلوبها عليك ، وأبدانها لك ، فاعط الأمان عامتهم ، شاهدهم وغائبهم ، وأن ينزلوا حيث شاؤوا .

فقال : أفعل . فانصرف خالد إلى قومه بذلك .

ثم إن معاوية بدا له فبعث إلى خالد فدعاه : فلما دخل إليه قال : كيف حبك لعلي ؟ قال : اعفني يا أمير المؤمنين مما أكره ! فأبى أن يعفيه ، فقال : أحبه والله على حلمه إذا غضب ، ووفائه إذا عقد ، وصدقه إذا أكد ، وعدله إذا حكم . ثم انصرف ، ولحق بقومه ، وكتب إلى معاوية :

---

(١) تاريخ دمشق (م ٣/ ق ٣٤٣ مصورة مجمع اللغة العربية عن أصل الأزهر) والخبر مع الأبيات في تاريخ ابن الأعثم ٢/٨٢ .

معـاوي لا تجهـل علينـا فإننـا ... نذلك في اليـوم[1] العصيب معاويا
متى تـدع فينـا دعـوة ربعيـة ... تجبك رجـال يخضبون العواليـا
أجـابوا عليّـاً إذ دعـاهم لنصره ... وجروا بصفين[2] عليـك الدواهيا
فإن تصطنعنا يا بـن حرب لمثلهـا ... نكن خـير من تدعو إذا كنت داعيا
ألـم ترني أهديت بكر بن وائـل ... إليـك وكانـوا بالعـراق أفـاعيا
إذا نهشت قـال السليم لأهله ... رويـداً فإني لا أرى لي راقيـا[3]
فأضحوا وقد[4] أهدوا ثمار قلوبهم ... إليك وأفراق الذنوب[5] كما هيـا
ودع عنك شيخاً قـد مضى لسبيله ... علـى أي حـاليه مصيبـاً وخاطيا
فإنك لا تستطيع رد الـذي مضى ... ولا دافعـاً شيئاً إذا كـان جائيـا
وكنت امرءاً تهوى العراق وأهلـه ... إذ أنت حجازي فأصبحت شاميا[6]

وكتب الأعور الشنّي إلى معاوية :

أتـاك بسلم الحي بكر بن وائـل ... وأنت شحوط كالسقاء الموكـر[7]
معـاوي أكـرم خـالد بن مُعمرٍ ... فإنك لولا خالد لـم تؤمّر
فخادعتـه بالله حتـى خدعتـه ... ولم يك خباً خالد بـن معمر
فلـم تجزه والله يجزي بسعيه ... وتسديده ملكـي سرير ومنبر

(١) في ابن الأعثم : « في الحرب » .
(٢) في ابن الأعثم : « بصفين ، اذ جرو » .
(٣) رواية ابن الأعثم : « الا فابتغي لي لا أبالك راقيا » .
(٤) رواية ابن الأعثم : « فأصبحت قد » .
(٥) رواية ابن الأعثم : « وأسرار القلوب » .
(٦) رواية ابن الأعثم : ... أهوى العراق وأهلها وكنت حجازيا ولم اك شاميا
(٧) السقاء الموكر : الممتلىء ، وكر السقاء : ملأه ، وشحط الإناء ملأه .

فدعاهما معاوية فوصلهما ، فقال الشنّي :

معاوي إنـي شاكر لك نعمـة ردت بهـا ريشي علـي معاويـه
وكـم من مقـام غائظٍ لك قتمتـه وداهية أسعرتها بعـد داهيـه
فموتهـا حتـى كأن لـم أقم بهـا عليك وأوتاري بصفـين باقيـه
فابلعتني ريقـي وكانت مقاتلـي[1] بكفيك،لو لم تكفف السهم ،باديه[2]

فقـال معاوية :

لقد رضي الشنّي من بعـد عتبه بأيسرَ ما يرضى به صاحب العَتْب

---

(١) في تاريخ ابن الأعثم : « وقد كان قاتلي » .
(٢) زاد في تاريخ ابن الأعثم :
ولم ترض لي بالعفو حتى منحتني حبـاك فأمسي إن كفرتك هاويـه

شريك الأعور[1]

أخبرنا أبو بكر محمد بن محمد بن كرتيلا قال : أخبرنا أبو بكر محمد ابن علي الخياط قال : أخبرنا أبو الحسين أحمد بن عبد الله السوسنجردي ، قال : أخبرنا أبو جعفر أحمد بن أبي طالب ، قال : حدثني أبي أبو طالب علي بن محمد . حدثني أبو عمرو محمد بن مروان بن عمر السعيدي ، حدثني جعفر بن أحمد بن معدان ، نا الحسن بن جهور ، قال : قال ابن الكلبي :

زعموا أن معاوية جلس ذات يـوم بين يديه السماطان ، فدخـل الناس وأشراف العرب . ودخل فيمن دخل شريك بن الأعور الحارثي وافداً ، فلما أن اطمأن به مجلسه نظر إليه معاوية فقال : ما اسمك ؟ قال : شريك . فقال معاوية: ما لله من شريك ! وإنك لأعور ، والصحيح خير من الأعور ، وإنك لدميم ، والجميل خير من الدميم ، فبم سدت قومك !؟

فقال له شريك : والله لقد أحميت أنفي ، ولا بد من إجابتك ، فوالله إنك لمعاوية ، وما معاوية إلا كلبة عوت فاستعوت . وإنك لابن صخر ، والسهل خير من الصخر ، وإنك لابن حرب ، والسلم خير من الحرب ، وإنك لابن أمية، وما أمية إلا أمة صغرت فاستصغرت ، فبم سدت قومك ؟!

فقال : يا غلام أقمه . فقام شريك ، وأنشأ يقول :

أيشتمني معاوية بـن صخرٍ   وسيفي صـارم ، ومعـي لساني
وحولي مـن ذوي يمنٍ ليوث   ضراغمة تَهَشُّ إلـى الطعـان
يعيرني الدمامة مـن سفـاه   وربـات الحجالِ مـن الغواني

---

(1) تاريخ دمشق متفرقات رقم ٢٣٤ ق ٢٩ ـ ٣٠ .

ذوات الدلّ في حِبَرَتٍ عَصْبٍ يحبون الهجان مع الحسان
فلا تبسط لسانك يا بن حرب علينا إذ بلغت مدى الأماني
فإن تك للشقاء لنا أميراً فإنا لا نقر على الهوان
وإن تك من أمية في ذراها فإني من بني عبد المدان

قرأت بخط أبي الحسن رشأ بن نظيف ؛ وأنبأنيه أبو القاسم علي بن إبراهيم وأبو الوحش سبيع بن المسلم عنه :أنا أبو أحمد عبيد الله بن محمد بن أبي مسلم الفرضي ، نا أبو طاهر عبد الواحد بن عمر بن أبي هاشم ، نا أحمد ابن سعيد القرشي ، حدثني الزبير بن بكار ، حدثني علي بن صالح ، عن عامر ابن صالح ، قال :

دخل شريك بن الأعور الحارثي على معاوية ، وكان دميماً قصيراً . فقال له معاوية : إنك لدميم والجميل خير من الدميم : وإنك لشريك وما لله من شريك ، وإنك لابن الأعور والبصير خير من الأعور . فكيف سدت قومك !؟

فقال له شريك : يا معاوية : إنك معاوية ؛ وما معاوية إلا كلبة عوت فاستعوت ، وإنك لابن حرب ؛ والسلم خير من الحرب ؛ وإنك لابن صخر ، والسهل خير من الصخر ، وإنك لابن أمية ، وما أمية إلا أمة صغرت . فكيف صرت أمير المؤمنين ؟!

ثم خرج من عنده وهو يقول :

أيشتمني معاوية بن صخرٍ وسيفي صارم ومعي لساني
وحولي من ذوي يمن ليوث ضراغمة تَهَشّ إلى الطعان
يعيرني الدمامة من سفاهٍ وربات الخدور هي الغواني
ذوات الحسن، والريبال[1] شثن شتيم وجهه ماضي الجنان

---

(١) الرِّيبال : الأسد .

فـلا تبسط لسانك يا بن حرب | علينـا إذ بلغت مدى الأمـاني
فإن تـك للشقاء لنـا أميراً | فإنـا لا نقـر علـى الهوان
وإن تك من أميـة في ذراهـا | فإنـي في ذرى عبـد المدان

زاد غيره بعد « الأماني » :

متى ما تدع قومك أدع قومي | وتختلف الأسنـة بالطعـان
يجبني كـل غطريفٍ شجـاعٍ | كـريمٍ قـد توشـح باليماني

وبعـده :

فإن تك للشقاء .. البيتان

صعصعة بن صوحان العبدي(1)

ج
أخبرنا أبو الحسن علي بن المسلم الفقيه ، نا عبد العزيز بن أحمد .

ع
ح وأخبرنا أبو الحسين بن أبي الحديد ، أنا جدي أبو عبد الله

قالا : أنا أبو الحسن بن عوف . أبنا أبو العباس محمد بن موسى . أنا أبو بكر بن خريم ، نا هشام بن عمار ، نا إبراهيم بن أعين، نا إسماعيل بن يحيى الشيباني ، عن أبي سنان الشيباني ، عن عطاء بن أبي رباح

أنّ صعصعة بن صوحان العبدي دخل على معاوية بن أبي سفيان فلم يسلم عليه بالخلافة ، فقال له : ممن أنت ؟ قال : من نزار . قال : وما نزار ؟ قال : كان إذا غزا احتوش(2) ، وإذا انصرف انكمش ، وإذا لقي افترش . قال: فمن أي ولده أنت ؟ قال : من ربيعة . قال : وما ربيعة ؟ قال : كان يغزو بالخيل، ويغير بالنيل ، ويجود بالنيل . قال : فمن أي ولده أنت ؟ قال : من أسد . قال: وما أسد ؟ قال: كان إذا طلب أفضى . وإذا أدرك أرضى . وإذا آب أنضى . قال : فمن أي ولده أنت ؟ قال : من دعمى . قال : وما دعمى ؟ قال : كان يخيل النجاد ، ويعد الجياد ، ويجيد الجلاد . قال : فمن أي ولدد أنت ؟ قال : من أفصى . قال : وما أفصى ؟ قال : كان ينزل الغارات ، ويحسن الغارات، ويحمي الجارات . قال : فمن أي ولده أنت ؟ قال : من عبد القيس . قال : وما عبد القيس ؟ قال : أبطال زادة ، جحاجحة سادة ، صناديد قادة . قال : فمن أي ولده أنت ؟ قال : من أفصى . قال : وما أفصى ؟ قال : كان يباشر القتال . ويعانق الأبطال ، ويبذر الأموال . قال : فمن أي ولده أنت ؟ قال : من عمرو .

---

(1) تاريخ مدينة دمشق متفرقات ٢١٧ ق ١٢٣ ، وانظر ص ٢٩ .

(2) احتوش القوم فلانا وتحاوشوه بينهم : جعلوه وسطهم .

قال : وما عمرو ؟ قال : كانوا يستعملون السيف، ويكرمون الضيف،في الشتاء والصيف . قال : فمن أي ولده أنت ؟ قال : من عجل . قال : وما عجل ؟ قال : ليوث ضراغمة ،قروم قشاعمة ، ملوك قماقمة . قال : فمن أي ولده أنت ؟ قال: من كعب ، قال : وما كعب ؟ قال : كان يغشى الحروب ، ويكشف الكروب ، قال : فمن أي ولده أنت ؟ قال : من مالك ، قال : وما مالك ؟ قال الهُمام الهُمام ، والقمقام القمقام . قال : يا بن صوحان، ما تركت لهذا الحي من قريش شيئاً ! قال : بلى تركت لهم الوبر والمدر ، والأبيض والأصفر ، والصفا والمِشعر ، والقبّة والمنحر ، والسرير والمِنبر ، والملك إلى المحشر ، ومن الآن إلى المنشر .

قال : أما والله يا بن صوحان إن كنت لأبغض أن أراك خطيباً .

قال : وأنا والله إن كنت لأبغض أن أراك أميراً !

ع

أخبرنا[1] أبو بكر اللفتواني . أنا أبو عمرو بن منده أنا ، الحسن بن محمد بن يوه ، أنا أبو الحسن اللنباني ، نا أبو بكر بن أبي الدنيا ، حدثني أبو الخطاب البصري ، حدثني عبد الله بن بكر السهمي ، حدثني النضيل .

أن وفداً من أهل العراق قدموا على معاوية فيهم صعصعة بن صوحان فقال لهم معاوية : مرحباً بكم وأهلاً ، قدمتم خير مقدم ، قدمتم على خليفتكم ، وهو جنة لكم . وقدمتم أرضاً بها قبور الأنبياء . وقدمتم الأرض المقدسة ، وأرض المحشر . فقال صعصعة : أما قولك مرحباً بكم وأهلاً فذاك من قدم على الله والله عنه راضٍ . وأما قولك : قدمتم على خليفتكم ، وهو جنة لكم ، فكيف لنا بالجنة إذا احترقت . وأما قولك : قدمتم الأرض المقدسة فإنها

---

(١) تاريخ مدينة دمشق متفرقات٢١٧ ق ١٢٤ ، وبعض الخبر التالي يشبه ما أورده الضبي في رويته ففضلته على خبر أوفى منه أورده ابن عساكر من طريق آخر . وبعض هذا الخبر في العقد الفريد ٣/٣١٦ .

لا تقدس كافراً . وأما قولك : قدمتم أرضاً بها قبور الأنبياء فمن مات بها من الفراعنة أكثر ممن مات بها من الأنبياء . وأما قولك : قدمتم أرض المحشر فإنها لا يضر بعدها مؤمناً ، ولا ينفع قربها كافراً .

قال : اسكت ، لا أرض لك . قال : ولا لك يا معاوية إنما الأرض لله يورثها من يشاء من عباده .

قال : أما والله لقد كنت أبغض أن أراك خطيباً . قال : وأنا والله لقد كنت أبغض أن أراك خليفة .

أبو الطفيل عامر بن واثلة الكناني[1]

قرأت بخط أبي الحسن رشأ بن نظيف . وأنبأنيه أبو القاسم علي بن إبراهيم وأبو الوحش سبيع بن المسلم عنه ؛ أنا أبو الفتح إبراهيم بن علي بن سيبخت ، نا محمد بن أحمد بن إبراهيم بن قريش الحكيمي الكاتب ؛ أنا أبو العباس أحمد بن يحيى ؛ ثعلب ؛ نا عبد الله بن شبيب ؛ عن الزبير ؛ حدثني محمد بن سلام الجمحي ؛ عن عبد الرحمن الهمداني ، قال :

دخل أبو الطفيل عامر بن واثلة الكناني على معاوية ؛ فقال له معاوية : أبا الطفيل ، قال : نعم ؛ قال : ألست من قتلة عثمان ؟ قال : لا ؛ ولكني ممن حضره فلم ينصره ؛ قال : وما منعك من نصره ؟ قال : لم ينصره المهاجرون والأنصار . فقال معاوية : أما لقد كان حقه واجباً [وكان][2] عليهم أن ينصروه ، قال : فما منعك يا أمير المؤمنين من نصره ومعك أهل الشام ؟ فقال معاوية : أمَا طلبي بدمه نصرةٌ له ؟ فضحك أبو الطفيل ثم قال : أنت وعثمان كما قال الشاعر :

لا ألفينّك بعد الموت تندبُني وفي حياتي ما زودتني زادي

فقال له معاوية : يا أبا الطفيل ، ما أبقى لك الدهر من ثكلك علياً ؟ قال : ثكل العجوز المقلات[3] والشيخ الرقوب[3] ، ثم ولى . قال : فكيف حبك له ؟ قال : حب أم موسى لموسى ، وإلى الله أشكو التقصير .

---

(1) تاريخ مدينة دمشق (عاصم ـ عايذ) ص ٤٦٠ ـ ٤٦١ . وقد رواه الحافظ ابن عساكر من طريق الزبير بن بكار . انظر الأخبار الموفقيات ١٥٤ . وهو في العقد الفريد ٤/١١١ ، ومروج الذهب ٣/٢٥ ، ووقعة صفين ٥٥٤ ، وبعضه في الأغاني ١٥/١٤٩ « دار الكتب » .

(2) زيادة من الأخبار الموفقيات .

(3) سيلي تفسير اللفظة من طريق آخر .

(١)أخبرنا أبو بكر محمد بن شجاع، أنا عبد الوهاب بن محمد بن إسحاق نا أبو محمد بن يَوَه، أبنا أبو الحسن اللنباني؛ نا أبو بكر بن أبي الدنيا، نا زياد بن حسان البصري ببعض هذا الحديث، حدثني الهيثم بن ربيع — وأخبرني عمر بن بكير ومحمد بن صالح بسائره — عن علي بن محمد القرشي، عن عبد الله بن عبد الرحمن الهمداني، قال:

دخل أبو الطفيل عامر بن واثلة الكناني على معاوية، فقال له معاوية: أبو الطفيل! قال: نعم. قال: أنت من قتلة عثمان؟ قال: لا ولكن ممن حضره فلم ينصره. قال: ما منعك من نصره؟ قال: لم ينصره المهاجرون والأنصار ولم تنصره أنت. قال معاوية: أما طلبي بدمه نصرة له؟ فضحك أبو الطفيل وقال: أنت وعثمان كما قال الشاعر:

لا ألفينك بعد الموت تندبني وفي حياتي ما زودتني زادي

قال معاوية: يا أبا الطفيل، ما أبقى لك الدهر من ثكلك علي بن أبي طالب؟ قال: ثكل العجوز المقلات والشيخ الرقوب. قال: فكيف حبك له؟ قال حب أم موسى لموسى، وأشكو إلى الله التقصير.

تفسيره: قال: المقلات التي لا يعيش لها ولد، والرقوب: الرجل الذي قد يئس أن يولد له.

(١) انظر تاريخ مدينة دمشق (عاصم ــ عايذ) ٤٦١.

الفهرس